مجلـــــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــــة محكّمـــــة

فصليـــّـــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: التاسع والسبعون

السنـــة: التاسعة والأربعون

الموصـــــــل

١٤٤١هـ / ٢٠١٩م

الهيئة الاستشارية

- أ.د. وفاء عبد اللطيف عبد العالي – جامعة الموصل/ العراق (اللغة الإنكليزية)
- أ.د. جمعة حسين محمد البياتي – جامعة كركوك / العراق (اللغة العربية)
- أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي – جامعة بابل/ العراق (تاريخ وحضارة)
- أ.د.حميد غافل الهاشمي – الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية/ لندن (علم الاجتماع)
- أ.د. رحاب فائز أحمد سيد – جامعة بني سويف / مصر (المعلومات والمكتبات)
- أ. خالد سالم إسماعيل – جامعة الموصل/ العراق (لغات عراقية قديمة)
- أ.م.د. علاء الدين احمد الغرايبة – جامعة الزيتونة/ الأردن (اللسانيات)
- أ.م.د. مصطفى علي دويدار – جامعة طيبة/ السعودية (التاريخ الإسلامي)
- أ.م.د. رقية بنت عبد الله بو سنان – جامعة الأمير عبدالقادر/ الجزائر (علوم الإعلام)

الأفكار الواردة في المجلة جميعاً تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

الرمز الدولي : ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

P ISSN 1813-0526

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

للتواصل: radab.mosuljournals.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: التاسع والسبعون	السنة: التاسعة والأربعون
(تشرين الأوَّل/ تشرين الثاني/ كانون الأوَّل لسنة ٢٠١٩)	

رئيس التحـــرير	
أ.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري	
سكرتير التحرير	
أ.م.د.بشار أكرم جميل	
هيئة التحرير	
أ.د.محمود صالح إسماعيل	أ.د.عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن
أ.د.مؤيد عباس عبد الحسن	أ.د.علي أحمد خضر المعـــماري
أ.م.د.سلطان جبر سلطان	أ.م.د. أحمد إبراهيم خضر اللهيبي
أ.م.د. زياد كمال مصطفى	أ.م. قتيبة شهاب احمد
المتابعة والتقويم اللغوي	
م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	– مدير التحرير
أ.م.أسامة حميد إبراهيم	– مقوّم لغوي/ اللغة الإنكليزية
م.د. خالد حازم عيدان	– مقوّم لغوي/ اللغة العربية
م. مترجم.إيمان جرجيس أميـــــن	– إدارة المتابعـــــة
م. مترجم.نجلاء أحمد حســـين	– إدارة المتابعـــــة

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد .
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة .

((هيئة التحرير))

المحتويـــــــــات

العنـوان	الصفحة
أعلام النثر الفني في مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار... لابن خميس المالقي (ت بعد ٦٣٩ هـ) كُتَّابٌ وسِير غيرية أ.د.يونس طركي سلوم البجاري	١ - ٣٢
علاقة التشبيه بالدلالة مقالات ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) في العزلة والصبر في صيد الخاطر أنموذجًا أ.م.د. أسماء سعود إدهام الخطّاب و أماني طلال يحيى	٣٣ - ٥٦
بلاغة اللغة الاشارية في تشكيل صورة المعنى في الخطاب القرآني أ.م.د. عدنان عبدالسلام الأسعد و أ.م.د. معن توفيق دحام	٥٧ - ٩٠
نبذة في علم القافية لشمس الدين محمد موسى الحسيني الحجازي المالكي أ.م.د. معن يحيى محمد العبادي	٩١ - ١١٨
شعريَّة المديح عند صالح المِعمار الموصليّ (ت١١٦٢هـ) أ.م.د. مقداد خليل قاسم الخاتوني	١١٩ - ١٥٨
بلاغة المناسبة في سورة الكوثر أ.م.د. صالح ملا عزيز	١٥٩ - ٢٠٠
توظيف التاريخ في مسرحيات عماد الدين خليل م.د. ربيع خزعل محمود العزاوي	٢٠١ - ٢٢٤
شَرْحٌ على أَبياتِ البطليوسيّ في تصريفِ الفعلِ المحذوفِ الفاءِ واللَّامِ في صيغةِ الأَمرِ لعبدالرحمن السلاسيّ (ت١١١٨هـ)- تحقيق ودراسة – م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	٢٢٥ - ٢٦٢
مسائل (قل ولا تقل) في كتاب (الفصيح) لأبي عباس ثعلب- دراسة لغوية م.د. حكيم عبدالنبي حسن	٢٦٣ - ٢٩٤
المصطلح النقدي في تراث أحمد مطلوب(رحمه الله) بين القديم والحديث م.د. محمد غانم شريف	٢٩٥ - ٣١٦
رؤية شعراء صدر الإسلام لأحداث الهجرة م.م وضاح حسن خضر الحديدي	٣١٧ - ٣٣٢
التناص في شعر السيد محمد سعيد الحبوبي (١٨٤٩ – ١٩١٥) م.م.عبد الغني حميد حسين	٣٣٣ - ٣٧٢
العلاقات السعودية – البريطانية في ضوء مشروع سوريا الكبرى ١٩٤٦- ١٩٤٨ دراسة وثائقية أ.م.د. فهد عباس سليمان السبعاوي و م.د اسماعيل محمد حسن الجبوري	٣٧٣ - ٤٠٠
بدر بن حسْنَويه الكردي وأعماله الخيرية (٣٦٩-٤٠٥هـ/٩٧٩-١٠١٤م) "دراسة تأصيلية تأريخية" أ.م.د. كريم محمد ككو و م.د. أردلان إسماعيل عمر السروجي	٤٠١ - ٤٤٠

رحلة حج السلطان موسى بن أبي بكر التكروري ٧٢٤هـ/١٣٢٤م دراسة في مضامينها أ.م.د. بشار أكرم جميل	٤٤١- ٤٦٠
صناعة المنسوجات في إقليم الأحواز في العصر البويهي (٣٢٦- ٤٤٧هـ / ٩٣٧-١٠٥٥م) أ.م.د. حاتم فهد هنو	٤٦١- ٤٨٠
ترجمة ابو بكر الصديق (ﷺ) في كتاب المختار من مناقب الاخيار لمجد الدين بن الاثير(ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م) دراسة نصية أ.م. د. مها سعيد حميد	٤٨١- ٥٠٨
الملح واستعمالاته في بلاد الرافدين أ.م.د. سهيلة مجيد احمد	٥٠٩- ٥٢٠
المدينة الآمنة مقترح تصميم محلة سكنية عراقية حديثة من منظور سوسيولوجي أ.م. يوسف حامد السبعاوي	٥٢١ - ٥٤٨
استخدام تقنيات المعلومات في المكتبات الجامعية الحكومية في مدينة أربيل : المكتبة المركزية لجامعة صلاح الدين أنموذجاً أ.د.عمار عبداللطيف زين العابدين و م.م.شادية سعدالله عبدالله	٥٤٩- ٦١٠
توظيف تطبيقات الويب٢,٠ في تقديم خدمات المعلومات في المكتبات الجامعية مع تقديم مشروع توظيفه في مكتبة كلية الآداب في جامعة الموصل أ.م. سمية يونس الخفاف و رندة ميسر الرفاعي	٦١١- ٦٤٠
ابنُ الابَّار القُضَاعِيّ البلنسيّ (٥٩٥ -٦٥٨هـ/١١٩٩-١٢٦٠م) وَ منهجُه في كِتَابِه التَكمِلَة لكتاب الصِلَة أ.م.د. أحمد هاشم محمد صالح السبعاوي	٦٤١- ٦٨٤
الأقوال التي ضعّفها ابن عطية الأندلسي في تفسيره لمخالفتها مكان النزول عرضاً وتحليلاً ودراسةً السور والآيات المكيّة أنموذجاً م.د. أيوب آدم رسول البرزنجي	٦٨٥- ٧٣٢
دافعيَّة المقاصد الضرورية لحفظ حقوق الإنسان دراسة مقاصدية م.د. فراس فياض يوسف الحمداني	٧٣٣- ٧٥٢
أدلة وجود الله عند توما الاكويني دراسة نقدية مقارنة م.م. هبا عبد الاله يونس	٧٥٣- ٧٩٨
عمل المرأة وأبعاده في السلوك الإنجابي دراسة ميدانية في مدينة الموصل م.م.هيثم سعيد عبدالله عمر	٧٩٩- ٨٢٠

علاقة التشبيه بالدلالة

مقالات ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) في العزلة والصبر

في صيد الخاطر أنموذجًا

أ.م.د. أَسماء سعود إدهام الخطّاب * و أماني طلال يحيى*

تأريخ التقديم: ٢٠١٨/٤/٢ تأريخ القبول: ٢٠١٨/٥/٢

علاقة التشبيه بأداء المعنى:

إنّ المعنى هو أساس العملية الكلامية، إذ لا تواصل بين المرسِل والمتلقي إذا فُقد المعنى أو أُبهم، فالكلمات والجمل هي محور التواصل، وهي يمكن "أنْ تُشفي أو تؤذي" (١)، أو تُفرح أو تُحزن، أو تُنشئ الحرب أو تقود إلى السلام، أو تُدخل الجنّة أو تجرُّ بقائلها إلى النار؛ ذلك أنّ الجملة "وحدة لغوية تحمل رسالة" (٢)، وهذه الرسالة تحدد ردّة فعل المتلقي إيجاباً أو سلباً حسب تأثيرها في نفسه. ومن هنا نلحظ أنّ المستوى الدلالي يفرض "هيمنته وسلطانه على جميع مستويات الدرس اللساني" (٣).

حتى إذا وقفنا على علاقة البلاغة بالمعنى وجدنا أنَّ "موضوع البلاغة هو النصُّ المُنشَأ، تدرس القيم التعبيرية والمعنوية فيه" (٤) لذلك فإنّ "دراسة المعنى من أبرز

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب /جامعة الموصل .

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب /جامعة الموصل .

(١) التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث/ الأصول والاتجاهات: ، د.خالد خليل هويدي، دار العربية للعلوم ناشرون – بيروت، ط١، ٢٠١٢م: ٢٩.

(٢) المعنى والترجمة: د. يؤئيل يوسف عزيز، ط١، منشورات جامعة قاريونس – بنغازي، ١٩٩٧م : ١٣١.

(٣) التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث: ٤٧.

(٤) مقاربة البيان والدلالة في النسقين البلاغي والأصولي: د. أُسامة عبدالعزيز جاب الله، ط١، عالم الكتب الحديثة – الأردن، ٢٠١٥م : ٨.

اهتمامات الدرس البلاغي اللغوية، وهي مباحث دلالية تناولت الدّال المفرد، ودلالة التركيب، إلّا أنّ تلك المباحث جاءت موزعة على علوم البلاغة الثلاثة" (١). فالدرس البلاغي قد سدَّ ثُغرة واسعة وقعت في مسيرة الدرس النحوي، إذ "إنّ الدرس النحوي – في الغالب – طغى عليه الاهتمام بالجانب الإعرابي، على حين اعتنى الدرس البلاغي بالمعنى" (٢).

فمثلاً نرى أنّ العلاقة بين علم المعاني وعلم الدلالة هي "علاقة استكمال، تسمح بمعالجتهما سوية" (٣)، وليست هذه العلاقة مقتصرة على علم المعاني فحسب، بل تتسع هذه العلاقة لتشمل علمي البيان والبديع، فهي لا تقلُّ أهمية عن دراستها في ضوء معطيات علم الدلالة، ذلك أننا لو نظرنا "إلى ما يُطلقون عليه المحسنات اللفظية وجدناه في عمومه ينتمي إلى هذا النوع من العلاقة بين الرمز والمعنى" (٤).

وأما علم البيان فهو "ربيب اللغة، نشأ في حجرها، وتغذّي بأفكارها، وامتدت جذوره في تربتها" (٥)، وقد أكّد السكاكي (ت ٦٢٦هـ) متانة العلاقة بين علمي البيان والدلالة، بقوله: "صاحب علم البيان له فضل احتياج إلى التعرض لأنواع دلالات الكلم" (٦) حتى

(١) اللغة في الدرس البلاغي: د. عدنان عبدالكريم جمعة، ط١، دار السيّاب للطباعة والنشر – لندن، ٢٠٠٨م : ٢٦٧.

(٢) م. ن: ٢١١.

(٣) من علم المعاني المعاني إلى علم الدلالة: مجيد الماشطة، دار المحبة – دمشق، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٩م ٢١٣.

(٤) الأصول: دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: د. تمام حسان، دار الشؤون الثقافية– بغداد، ١٩٨٨م : د. تمام حسان: ٣٢٠.

(٥) م. ن: ٣٦٣.

(٦) مفتاح العلوم: ٣٢٩. وهناك من يرى أن مبحث الدلالة وأقسامها مقحم في علم البيان، والظاهر أن الصبغة المنطقية لهذا البحث هي السبب في ذلك. ينظر: شرح عقود الجمان في المعاني والبيان. جلال الدين السيوطي تحقيق: د. إبراهيم محمد الحمداني وأمين لقمان الحبّار، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠١١م: ١٩٢، وفن التشبيه: (بلاغة . أدب . نقد): علي الجندي: ط١، مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٢م : ١/٢٧–٢٨.

يستقيم له إيراد المعنى الواحد بطرائق مختلفة، ثم يقول بعد ذلك: "وإذا عرفت أنّ إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى إلّا في الدلالات العقلية، وهي: الانتقال من معنى إلى معنى، بسبب علاقة بينهما، كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه، ظهر لك أنّ علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني" (١).

وتبدو العلاقة الوثقى بينهما حتى في الحدّ الذي وُضع لعلم البيان، إذ حُدَّ بأنه: "علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه" (٢).

والمقصود من كلمة (الطرق) في الحدّ المذكور هو: "التراكيب، تشبيهاً للتراكيب بالطرق"(٣). فالتراكيب ليست على درجة واحدة في وضوح دلالاتها على المعنى الواحد المراد التعبير عنه، إذ إن بعضها أوضح من بعض.

هذا فضلاً عن أنّ كثيراً من مباحث علم البيان تشكل مادة ثرّة في صلب علم الدلالة، وعلى رأسها مبحث الحقيقة والمجاز، إذ يُعدُّ المجاز من أبرز وسائل نمو اللغة واتساعها، بوصفه نقلاً للدّال إلى غير مدلوله الحقيقي لعلاقة بين المدلولين. فهو "المقوّم التعبيري الحقيقي الذي يبثُّ الحياة في اللغة من خلال حركة امتدادية بين تركيباتها التي تخضع إلى تغيرات لا حدود لها، كما تصل اللغة إلى ذروة التسامي الأدبي" (٤).

وكذلك أسهم هذا المبحث في علاج مشكلات المعنى، وكذلك البحث عن توسع الدلالة أو تضييقها أو موتها واندثارها، وهو جانب من أبرز جوانب علم الدلالة. هذا

---

(١) م. ن: ٣٣٠.

(٢) مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م : ٣٢٩، والتلخيص: جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: د. خليل إبراهيم خليل، ط١، منشور مع كتاب عروس الأفراح للسبكي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م : ٨٩/١.

(٣) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢هـ)، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م: ١٠٥/٢.

(٤) التفكير الدلالي عند المعتزلة: د. علي حاتم الحسن، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ٢٠٠٢م : ١٣٣.

فضلاً عمّا تؤديه مباحث البيان الأُخرى من البحث عن المعنى ومعنى المعنى الذي يُعدُّ بحقّ إنجازاً عربياً موفقاً.

حتى إذا وقفنا عند التشبيه خصوصاً الذي له "طريقته الخاصة في التعبير، تتمثل فيما يحدثه من تغيير في طريقة عرض وتقديم المعاني" (١)، إذ هو كما يقول حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ): "من ضروب الوجوه التي تُكسب الكلام حسناً وإبداعاً" (٢) وجدناه يقوم في الأساس على الإبانة والإيضاح للمعنى الذي يريد المُرسِل أن يوصّله للمتلقي، ولهذا كثر في كلام العرب، إذ إنهم كلَّما أرادوا التعبير عن معنىً خفي، أو قصدوا التقريب لصورة قد تجول في أذهانهم لجأوا إليه، ولهذا قال المبرِّد (ت ٢٨٥هـ) "والتشبيه جارٍ كثير في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم، لم يبعُد" (٣)؛ لشدّة الحاجة إليه في إيصال المعنى، لهذا نجد أنّ الأدباء والشعراء قد "اتخذوا منه أداة لتصوير الخلجات النفسية التي تعتمل داخلهم، كما صوّروا به الأفكار، وأخرجوها به عن تجريدها" (٤)، فهو يرسم صورة الحسّ والشعور وكأننا نرى المعنى المقصود بأبصارنا ونلمسه بأيدينا (٥)، وهذا "من خصائص التشبيه الدلالية" (٦).

وقد عدَّ العلويّ (ت ٧٤٩هـ) الإبانة والإيضاح أحد مقاصد التشبيه الثلاثة، وأما الآخران فهما تقرير المشبّه في النفس بصورة المشبّه به أو بمعناه، فيُستفاد من ذلك

(١) حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي (رضي الله عنه): كمال الزماني، ط١، عالم الكتب الحديث– الأردن، ٢٠١٢م : ٣٨.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد الحبيب ابن خوجة، ط٤، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ٢٠٠٧م: ٤٤.

(٣) الكامل في اللغة والأدب : محمد بن يزيد المبرِّد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، د. ت: ٩٣/٣.

(٤) فنون التصوير البياني: د. توفيق الفيل، ط١، منشورات ذات السلاسل – الكويت، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م : ٧١.

(٥) ينظر: القرآن والصورة البيانية: د. عبدالقادر حسين، ط٢، عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م : ٧.

(٦) اللغة في الدرس البلاغي: ١٠٦.

البلاغة فيما قُصد به من التشبيه، وكذلك الإيجاز والاختصار [١] هذا فضلاً عن تحقيق الغُلوّ والمبالغة في المعنى [٢].

وكذلك فالتشبيه كأنه ادلاءٌ بالحجة لتعزيز المعنى المُساق لأجله الكلام، ولهذا فإنّ (بيرلمان) (Perlman) كان "يضع التشبيه ضمن الحجج شبه المنطقية؛ لأن جوهره – في نظره– عملية قياس، يتمُّ فيها الانتقال من أحد الطرفين إلى الآخر اعتماداً على علاقة أو علاقات المشابهة بينهما" [٣].

وكان السكاكي (ت ٦٢٦هـ) قد جعل الغرض من التشبيه عائداً إلى المشبّه في الغالب، وذلك لبيان حاله، أو مقدار حاله، أو إمكان وجوده، أو تقوية شأنه وتقريره في نفس السامع، أو لإبرازه إلى السامع في معرض التزيين أو التشويه أو الاستطراف. أو أن يكون الغرض عائداً إلى المشبّه به، وذلك في التشبيه المقلوب [٤].

إنّ التشبيه هو صورة من صور أداء المعنى، فالمعنى هو المادة الأوّلية والتشبيه هو أحد القوالب التي يُصَبُ بها المعنى لإيصاله للمتلقي، فالعلاقة بينهما قوية ومتلازمة، تلازم الشكل والمضمون، فالتشبيه يتحكّم في دلالة المضمون ليس بما يمنحه من إيضاح واختصار ومبالغة فحسب، بل بما يُلقيه من ايحاءات ثرّة تتأتى من المشبّه به، وبما يكسب النص من ظلال وارفة للمعنى المؤدّى.

وما أحسن قول الدكتور تمام حسان: "إنّ علاقة التشبيه تحتمل تطبيقاً أوسع من مجرد حقل البيان" [٥]. إذ له علاقة مع علوم اللغة جميعاً، فيمكن أن يُدرس في ضوئها

(١) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي(ت ٧٤٩هـ)، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة، عن طبعة دار الكتب المصرية، ٢٠٠٩م: ١/٢٧٣– ٢٧٤.

(٢) ينظر: سرّ الفصاحة: عبدالله بن محمد بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م : ٢٤٦.

(٣) حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي (رضي الله عنه): ١٢٦.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم: ٣٤٠– ٣٤٦.

(٥) الأصول: د. تمام حسّان: ٣٧١.

تأثراً وتأثيراً، فهو "وسيلة خلق وإبداع ذات وظائف متعددة" [١]. وهذه الوظائف قد ترتبط بالجانب النحوي، وذلك حينما يؤدي التشبيه ولاسيّما البليغ منه وظيفة نحوية في الجملة كوظيفة الإسناد [٢]، حينما يقع المشبّه به خبراً للمبتدأ المشبّه، كقولنا: خالد بن الوليد سيف امتشقه الإسلام على أعدائه، أو خبراً لنواسخ الابتداء التي تدخل على المشبّه، أو أن يكون المشبّه به قيداً للمشبّه حين يأتي حالاً، أو صفة، أو مصدراً مبيّناً للنوع، أو مضافاً للمشبّه [٣].

وتزداد المسألة وضوحاً في تشبيه التضاد [٤]، إذ يتمازج التركيب النحوي والتشبيه في أداء المعنى المطلوب، إذ من "تصرفات العرب في كلامهم أنْ يقولوا للجبان الرعديد: (هو أسد)، وللبخيل الشحيح (هو حاتم) ... إنّ الشجاعة في الجبان، والجود في البخيل أمران ادّعائيان لا محالة" [٥] ويرى البلاغيون أنّ أساس هذا هو تنزيل التضاد بين

(١) حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي (رضي الله عنه): ص٣٨.

(٢) إنّ العناية بطرفي الإسناد وما يحلقهما من قيود لم تكن مقصورة على النحّاة وحدهم، بل شاركهم البلاغيون في ذلك، وهذا ما أشاد به الدارسون، حتى غير العرب منهم "فالمستعربون يعدون البلاغيين على تقارب كبير، وتوافق شديد، مع النحاة" في ذلك: مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني: صابر الحباشة، ط١، دار صفحات للدراسات والنشر – سوريا، ٢٠١١م : ٣٩.

(٣) ينظر: بناء الصورة الفنية في البيان العربي موازنة وتطبيق: د. كامل حسن البصير، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م : ٢٨٢، والأصول لتمام حسان: ٣٧٠– ٣٧١، والمفصّل في علوم البلاغة العربية، د. عيسى علي العاكوب، منشورات جامعة حلب، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م : ٣٥٦– ٣٥٧.

(٤) وذلك حين يكون وجه الشبه في أحد الطرفين ادّعائياً، وفي الآخر حقيقياً. ينظر: المفصّل في علوم البلاغة العربية: ٣٧٢.

(٥) م.ن: ٣٧٢– ٣٧٣.

الطرفين منزلة التناسب بينهما؛ ويكون ذلك لمقصد يرمي إليه المتكلم كالتهكم والسخرية أو التطرف والتمليح [١].

وترى الباحثة ان تختم هذه المسألة بكلام الدكتور محمد أبو موسى إذ قال: ((الغاية من دراسة البلاغة هي التعرف على كيفية استخراج المعاني من الصيغ والصور، الغاية هي ادراك دقائق الدلالات وشرح المعنى، وهذه ليست غاية دانية، وإنما هي المشكلة الأم في الدراسة الادبية))[٢].

التطبيق / مقالات ابن الجوزي في العزلة والصبر

مدخل :

يعدُّ الترغيب من الموضوعات المؤثرة في النفس البشرية، ذلك أنَّ الإنسان مفطور على جلب المنفعة ودرء الضرر. وقد أقرَّ الإسلام هذا الشعور شرط أن يكون محكوماً بميزان الشرع، لا بهوى النفس ومشتهياتها.

وقد وظّف ابن الجوزي أسلوب التشبيه في تصوير المعاني التي رغّب فيها، والتي يريد إيصالها إلى المتلقي بدقة، ليطمئن إلى سرعة الاستجابة لما رغّب فيه.

وقد نال الترغيب قسطاً وافراً من أسلوب التشبيه عند المؤلف وسيعرض البحث لذلك بتناول موقفه من العزلة والصبر وما يرتبط بهما وهو الإخلاص.

١- العزلة:

أكثر ابن الجوزي من الكلام على الحثّ على العزلة، وقد يبدو أحياناً في كلامه شيء من التناقض، ولكن عند جمع النصوص، والتأمل فيها يظهر أنْ لا تناقضَ فيها، لذا فالبحث يخالف ما ذهب إليه علي الطنطاوي في مقدمته للكتاب، إذ قال: "وبَحَثَ في

(١) ينظر: التبيان في البيان: شرف الدين الحسين بن محمد الطيبي (ت ٧٤٣هـ)، تعليق: يحيى مراد، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م: ٩٦، وفن التشبيه: ١/١٠٣- ١١٠، والمفصّل في علوم البلاغة العربية: ٣٧٣.

(٢) التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان: د. محمد محمد أبو موسى، ط٦، مكتبة وهبة – القاهرة، ٢٠٠٦م : ١١٨.

العزلة، واضطرب فيها قوله" [١]، ذلك أنّ ابن الجوزي يشترط فيمن يروم العزلة شروطاً هي [٢]:

أ- أن يكون عالماً، حتى لا يقع في تلبيس إبليس ومداخله التي قد تخفى أحياناً كالرياء وما شابهه. فيقول: "لا عزلة على الحقيقة إلّا للعالم والزاهد" [٣].

ويقول موظفاً التشبيه في أداء هذا المعنى: "وأكثر أدلة هذه الطريق القصاص، فإنّ العاميّ إذا دخل مجلسهم، وهو لا يُحسن الوضوء، كلّموه بدقائق الجُنيد، وإشارات الشبليّ، فرأى ذلك العاميُّ أنّ الطريق الواضح لزوم زاوية وترك الكسب للعائلة، ومناجاة الحقّ في خلوة على زعمه، مع كونه لا يعرف أركان الصلاة، ولا أدَّبه العلم، ولا قوَّم أخلاقه شيءٌ من مخالطة العلماء، فلا يستفيد من خلوته إلّا كما يستفيد الحمار من الاصطبل، فإن امتدَّ عليه الزمان في تقلله زاد يبسُهُ، فربَّما خايلت له الماليخوليا أشباحاً يظنهم الملائكة، ثم يطاطئ رأسه، ويمدُّ يده للتقبيل" [٤].

فهو يشبّه فائدة عزلة الجاهل بفائدة الحمار من الاصطبل، والاصطبل هو "موقف الفرس ... والجمع الأصابيل" [٥]، فالحمار ينقطع في الاصطبل عمّا حوله مع تعوّده فيه على الكسل والابتعاد عن العمل، فكذلك الجاهل يتعود في عزلته الكسل، إذ لا علم يرشده إلى طريق الآخرة، ولا عمل يُصلح به أمر دنياه.

---

(١) مقدمة صيد الخاطر: ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، حققه ووضع فهارسه وعناوين فصوله: ناجي الطنطاوي، وراجعه ووضع مقدمته وعلّق عليه: علي الطنطاوي، ط١، دار الفكر – دمشق، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م: ١/٤٦.

(٢) ذكر البحث الشروط هنا لتكون تمهيداً لبيان موقف المؤلف من المسألة، وحرصاً على وحدة الموضوع.

(٣) صيد الخاطر، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م: ٢٦١.

(٤) صيد الخاطر: ١٢١.

(٥) العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام – بغداد، ١٩٨٠- ١٩٨٥م : ٧/١٨٠ مادة (صطبل).

وقد حقق التشبيه هنا غايته من التنفير عن عزلة الجاهل، إذ القصد من التشبيه "إثبات الخيال في النفس بصورة المشبّه به، أو بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه، أو التنفير عنه" (١). وكأنّ ابن الجوزي قد استمدَّ من الاستعمال القرآني في رسم صورة الحمار وعدم إفادته من مصدر العلم إلّا التعب، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجمعة: ٥].

والتشبيه مرسل قد ذُكرت فيه الأداة، مراعاةً للمخاطبين من العامة من الذين لا يمتلكون قدماً راسخة في علم البيان، وقد أُكد التشبيه بأسلوب النفي والاستثناء (لا، إلّا) ليبيّن حصر الفائدة بالخلوة التي لا جدوى منها.

ب– أن يكون معه من المال ما يكفيه، أو أن يكون له مورد يغنيه عن الحاجة للناس. فيقول مخاطباً الشيطان الذي وسوس له بالانقطاع عن مجلس الوعظ، ثم العزلة: "ثم رأيته يُريني في التزهد قطع أسباب – ظاهرة الإباحة – من الاكتساب، فقلت له: فإن طاب لي الزهد، وتمكنت من العزلة، فنفذ ما بيدي، أو احتاجَ بعضُ عائلتي، ألستُ أعودُ القهقرى؟ فدعني أجمع ما يسدُّ خُلتي، ويصونني عن مسألة الناس، فإن مُدَّ عمري، كان نِعْمَ السبب، وإلّا كان للعائلة، ولا أكون كراكب أراق ماءَه لرؤية سراب، فلما ندم وقت الفوات، لم ينتفع بالندم" (٢).

فهو يشبه نفسه في حال تمكنه من العزلة وانقطاعه عن الكسب، ثم نفاذ ما معه من المال بمسافر أهدر ما معه من ماء اعتماداً على سراب تراءى له، فما عاد الندم ينفعه، إذ أضاع المتحقق بالمتخيل من دون فائدة.

لقد سعى ابن الجوزي في هذا التشبيه التمثيلي إلى التحذير من العزلة إذا ما اقترنت بترك أسباب الكسب، مصوّراً حاله – وهو العالم الجليل – بصورة من أضاع المتحقق في يده من مال لأجل سراب متخيل، لا وجودَ له فهو يشير هنا من خلال

(١) المثل السائر: ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، ط١، مطبعة النهضة – مصر، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م : ١٢٤/٢.

(٢) صيد الخاطر: ٤١.

المحاورة مع الشيطان والنفس بأنّ العلم وحده لا ينفع في العزلة ما لم يتحقق لدى المعتزل ما يسدُّ حاجته وحاجة عائلته من مال موفور، أو مصدر كسب موصول.

جـ- أن لا تمنعه العزلة عن الجُمَع والجماعات ونشر العلم، فتكون مخالطته للناس لمماً، إذ يقول: "العزلة عن الخلق سبب طيبِ العيش، ولابُدَّ من مخالطة بمقدار" (١). وفي موضع آخر يقول موظفاً التشبيه: "لا يصفو التعبد والتزهد والاشتغال بالآخرة إلّا بالإنقطاع الكلي عن الخلق، بحيث لا يبصرهم ولا يسمع كلامهم إلّا في وقت ضرورة كصلاة جمعة أو جماعة، ويحترز في تلك الساعات منهم، وإنْ كان عالماً يريد نفعهم وَعَدَهم وقتاً معروفاً، واحترز في الكلام معهم ... فمن قدر على الحِمْية النافعة (٢)، واضطر إلى المخالطة والكسب للعائلة فليحترز احتراز الماشي في الشوك، وبعيد سلامته" (٣).

فهو يحبّذ العزلة ويراها الطريق السليمة لصفو التعبد، شرط أداء الضرورات كالصلوات جماعةً، وحضور الجُمَعِ، وأداء حقِّ العلم بنشره، والكسب للعائلة عند الاضطرار، شرط الاحتراز من الناس، فقال: "فليحترز احترازَ الماشي في الشوك" فأراد المبالغة في بيان شدّة التوقي، وتقريب ذلك المعنى إلى ذهن المخاطب بهذا التشبيه البليغ القائم على استحضار صورة شخص يمشي في الشوك، وهو يحترز بشدة لئلا يصاب بأذى.

وقد أُدي المعنى الوظيفي للتشبيه هنا بتركيب نحوي قائم على المصدر المبيّن للنوع (٤)، وكان ابن الأثير [ت٦٣٧هـ] قد عدَّ هذا الضرب من محاسن التشبيه، فقال: "واعلم أنّ من محاسن التشبيه أن يجيء مصدرياً، كقولنا: أقدم إقدام الأسد، وفاض فيض

(١) صيد الخاطر: ٤٥٧، وينظر: ١٣٣.
(٢) سيأتي شرح مثل هذا التركيب.
(٣) صيد الخاطر: ٤٠٥- ٤٠٦.
(٤) ينظر: الأصول: د. تمام حسان: ٣٧٠.

البحر، وهو أحسن ما استُعمل في باب التشبيه" [١]. وتتأتي مكانة هذا الضرب من أنَّ "حذف الأداة ينبئ عن التطابق بين الطرفين، وحذف الوجه ينبئ عن الشمول في الصفات، فقد اجتمع فيه القوتان" [٢] ويستعين المؤلف في موضع آخر بالتشبيه التمثيلي المُستمد من خلق الله عزّ وجلّ في الطبيعة بصورة يبغي من ذكرها بيان أنّ الأصل عند الزاهد العزلة، وأما المخالطة فهي لا تكون إلّا طارئة لضرورة، فهي لا تأخذ من وقت المعتزل إلّا قليلاً، فسرعان ما يعود إلى الأصل، فيقول: "فمن أراد اجتماع همّه فعليه بالعزلة بحيث لا يسمع صوت أحد ..... فإذا اضطر إلى المخالطة كان على وفاق، كما تتهوى الضفدع لحظة ثم تعود إلى الماء، فهذه طريق السلامة" [٣].

ورغّب ابن الجوزي في العزلة كثيراً في ضوء ما سبق من شروط، إذ يقول: "ما أعرف للعالم قطّ لذّة ولا عزّاً ولا شرفاً ولا راحة ولا سلامة أفضل من العزلة، فإنه ينال بها سلامة بدنه ودينه وجاهه عند الله عزّ وجلّ وعند الخلق" [٤].

وقال في نصّ آخر مستعيناً فيه بالتشبيه في الترغيب في العزلة: "مَنْ أراد اجتماع همّه وإصلاح قلبه فليحذر من مخالطة الناس في هذا الزمان ..... وقد جرّبت على نفسي مراراً أنْ أحصرها في بيت العزلة، فتجتمع هي، ويضاف إلى ذلك النظر في سير السلف، فأرى العزلة حِمية، والنظر في سير القوم دواء، واستعمال الدواء مع الحمية عن التخليط نافع، ..... فإنّ دوام العزلة كالبناء، والنظر في سير القوم يرفعه" [٥].

يُرغّب المؤلف في هذا التشبيه المفروق بالعزلة [٦]، ومطالعة سير الصالحين من السلف للتأسي بهم، فكان بالتشبيه الأول: (فأرى العزلة حِمية) قد شبّه العزلة فيه بالحمية،

---

(١) المثل السائر: ١٢٥/٢.

(٢) القرآن والصورة البيانية: ٨٧.

(٣) صيد الخاطر: ٤٠٢.

(٤) م. ن: ٢٢٩.

(٥) صيد الخاطر: ٣٧٥، وينظر أيضاً: ٢٦١.

(٦) هو ما أتى بالمشبه والمشبه به واحداً بعد الآخر. ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣– ١٩٨٧م : ٢١٣/٢، ويوصف هذا التشبيه

والحمية هي الامتناع عن تناول ما يضرُّ، إذ يقول أهل اللغة: "حَمَيْتُ المريض حِميةً: منعتُهُ أكل ما يضرُّه"[١] فالمخالطة هي كالطعام الضارّ، والحمية في تجنبه، فكذلك العزلة يبتعد فيها المتعبد عن الناس لتجنب ما يترتب على المخالطة من أضرار.

ولكي تؤتي العزلة أينع ثمارها ينصح المؤلف بمطالعة سيرة السلف الصالح، إذ في "النظر في سير القوم دواء"، فهو يشبه النظر في سيرة السلف بالدواء، وذلك بقصد تشبيه الاطلاع على سيرة الصالحين للتأسي بهم، وللشفاء من أمراض القلب الحاصلة له بسبب المخالطة، بالدواء الذي يحقق الشفاء بإذن الله، إذ إنّ "استعمال الدواء مع الحمية عن التخليط نافع".

إنّ التشبيه المفروق المذكور في النص هو تشبيه بليغ بقسميه، إذ لم يذكر المؤلف أداة التشبيه ولا وجه الشبه فيهما، وهذا أعلى مراتب التشبيه [٢]. والسبب أنّ "ذكر الأداة يدل على ثبوت مزية للمشبه به على المشبه، التي باعتبارها استحق أن يشبه به، دون العكس، فحذفها يوهم عدم تلك المزية، وذكر وجه الشبه يدل على انتقاء وجه آخر له، فحذفه يوهم عموم التشبيه في جميع صفات المشبه به" [٣].

إنّ جمال هذا التشبيه البليغ يكمن في إبراز ما لم يُجرّب بما هو مُجرَّب أو مُشاهد، إذ لم يجرّب الناس جميعهم العزلة بقصد الزهد والعبادة مع مطالعة سير السلف، ولكن لا يكاد يوجد شخص لم يتعاطَ الحمية والدواء، أو لم يشاهد من يتعاطى ذلك. وبهذا يتحقق المعنى الذي قصده المؤلف في نفس المتلقي بكل إيحاءاته.

بأنه "جارٍ على السياق المنطقي في رسم الصورة المقابلة". بناء الصورة الفنيّة في البيان العربي موازنة وتطبيق: د. كامل حسن البصير: ٢٩٤.

(١) العين: ٣١٣/٣.

(٢) ينظر: المصباح: بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: د. عبدالحميد الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م : ١٧٠، والإشارات والتنبيهات: ركن الدين محمد بن علي الجرجاني (ت بعد ٧٢٩هـ)، بعناية إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م: ١٥٩.

(٣) الإشارات والتنبيهات: ١٥٩- ١٦٠.

ثم يعود المؤلف بعد ذلك ليؤكد ما سبق من معنىً بتشبيه آخر، يبيّن فيه فائدة استدامة العزلة والنظر في سيرة الصالحين، فيقول: "فإنّ دوام العزلة كالبناء، والنظر في سير القوم يرفعه"، إذ لا تؤتي العزلة مردودها إلّا إذا اتسمت بالاستدامة، فإنها تكون كالبناء في القوة والوقاية والستر والاحتجاب، وهذا البناء أو الأساس يرتفع ويعلو بفضل النظر في سيرة الصالحين؛ لأنها تزيد من قوة المجاهدة، وتُؤنس وحدة المعتزل، ووحشته من قلّة السائرين في دربه، فيرى فيمن سبقه من الصالحين أُسوة وأخوة سبقوه في الطريق إلى الله، فيورثُ ذلك الصبرَ وقوة المطاولة.

وفي هذا التشبيه المرسل الذي ذُكرت أداته، والمجمل [١] الذي لم يُذكر وجه الشبه فيه تأكيد لفائدة استدامة العزلة، وتقريب لمردودها، فهي كالبناء وأساسه في القوة؛ لأنها قائمة على تقوى من الله (ﷻ)، ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

وقريب من النص السابق قوله أيضاً في موضع آخر: "وليجعل خلوته أنيسة، والنظر في سير السلف جليسه" [٢].

٢- الصبر:

رغّب القرآن الكريم في الصبر، الذي هو من أبرز صفات المؤمنين، ووعد الصابرين بالأجر العظيم، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وأكثر ابن الجوزي في كتابه من الكلام على الترغيب في الصبر بأنواعه [*]، فقد رغّب في الصبر على الابتلاء، وعلى ترك الشهوات، وعلى أداء التكاليف، وقد كان للتشبيه دورٌ بارز في أداء هذه المعاني، وفيما يأتي بيان ذلك. إذ قال في الترغيب في

---

(١) رأى بهاء الدين السُّبكي (ت ٧٧٣هـ) أنّ وصف التشبيه بالمجمل فيه نظر؛ لأن الإجمال قد وقع في وجه الشبه، لا في التشبيه، ثم قال: "لكنه لا مانع من تسمية التشبيه أيضاً مجملاً، لأنه لخفاء وجهه لا تتضح دلالته على المقصود منه". عروس الأفراح: ٢١٩/٣.

(٢) صيد الخاطر: ٤٢٠.

(*) رُتبت الأنواع حسب كثرة ورودها في الكتاب.

الصبر على الابتلاء: "مَنْ نزلت به بلية فأراد تمحيقها، فليتصورها أكثر ممّا هي تَهُنْ .... وليعلم أنَ مدة مقامها عنده كمدة مقام الضيف، فليتفقد حوائجه في كلّ لحظة، فيا سرعة انقضاء مقامه، ويا لذّة مدائحه وبشره في المحافل، ووصف المضيِّف بالكرم، فكذلك المؤمن في الشّدة، ينبغي أن يراعي الساعات، ويتفقد فيها أحوال النفس، ويتلمح الجوارح، مخافةً أنْ يبدو من اللسان كلمة، أو من القلب تسخّط، فكأنْ قد لاح فجر الأجر، فانجاب ليل البلاء، ومُدِحَ الساري بقطع الدجى، فما طلعت شمس الجزاء إلّا وقد وصل منزل السلامة" (١).

يصف المصنف هنا العلاج الناجع لمنْ نزلت به بلية، فينصح المُبتلى بأن يتصورها أكبر حجماً، وأشدَّ قساوةً، وأكثر ضرراً، فإنْ تخيلها كذلك هان عليه وضعه، ورأى بأنّ الله (ﷻ) قد صرف عنه ما هو أعظم، فيستريح قلبه، ويرضى بقضاء الله الذي عاقبته الأجر الجزيل. ثم ينصح المُبتلى بالتفكر في سرعة زوال البليّة، إذ دوام الحال من المحال ويستعين المؤلف في أداء معنى سرعة الانقضاء بالتشبيه، إذ يقول: (وليعلم أنّ مدة مقامها عنده كمدة مقام الضيف)، ومدة إقامة الضيف معلومة في المجتمع العربي الإسلامي، إذ هي لا تعدو ثلاثة أيام، ثم يرحل الضيف، ويبقى الصنيع الجميل، والذكر الحسن. فهذا التشبيه المرسل الذي ذُكرت أداته قد أوضح قصر مدة البلية، إذ سرعان ما تنقضي ويبقى الأجر عليها. ولم يكتفِ المصنف بذلك بل استرسل في تشبيهه ليبيّن صورة المضيّف وهو يتفقد حاجة الضيف في كل لحظة، فلا يُظهر له التذّمر أو الانزعاج من إقامته، فكذلك طالب مَنْ نزلت به المصيبة بالصبر وضبط النفس فلا يتضجّر، ولا تبدر منه كلمة، أو تسخّط في القلب، بما ينمُّ عن الاعتراض على قضاء الله سبحانه، لينال أجر الصبر والتسليم لقضاء الله وقدره، ويختم المصنف كلامه بعدّة تشبيهات إضافية بليغة، وهي (فجر الأمل، وليل البلاء، وشمس الجزاء) ليبث الأمل في نفس المُبتلى ولاشك أنّ المصنف يشير إلى أدنى صور الصبر في عدم التبرّم بالمصيبة، إذ إنه يُلمّح إلى صورة الكرام من الناس الذين يستبشرون بالضيف، وإلى الخاصة من المؤمنين

(١) صيد الخاطر: ٦٨- ٦٩.

وأهل الإحسان فإنهم يفرحون بما ينزل بهم ويصبرون عليه؛ لعلمهم بالأجر المترتب على ذلك، وأنّ أفعال الله جلَّ في علاه كلّها حكمة، وإنْ لم يقفوا على وجهها أحياناً، ولكنهم موقنون بذلك وتتفاوت درجات الرضى عند المؤمنين بتفاوت قوة إيمانهم، ولهذا نجد المؤلف يقول في موضع آخر: "إنّ الرضى من جملة ثمرات المعرفة، فإذا عرفته رضيت بقضائه، وقد يجري في ضمن القضاء مرارات، يجد بعضَ طعمها الراضي، أما العارف فتقلُّ عنده المرارة، لقوة حلاوة المعرفة، فإذا ترقّى إلى المحبّة صارت مرارة الأقدار حلاوة" (١). فهو يستعين بهذا التشبيه البليغ في بيان حال المحبين، ورضاهم بقضاء الله، بل واستبشارهم بذلك، فلم يقل المصنف: (صارت مرارة الأقدار كالحلاوة)؛ بل استغنى عن الأداة، لينقل المعنى إلى درجة عالية من التأكيد، إذ الأمر حقيقة عند المحبين، فهم يستشعرون الحلاوة حقّاً بقضاء الله (ﷻ). وما أحسن قول بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ) إذ قال عن دلالات تراكيب التشبيه: إنّ "ما بين قولك: زيد قائم، وإنّ زيداً قائمٌ، وإنَّ زيداً لقائم، من التفاوت يضاهي ما بين قولك: زيدٌ كالأسد، وزيدٌ أسدٌ، والأسدُ زيدٌ، من التفاوت. والمعنى في كلّ منها متفاوت؛ بسبب التأكيد" (٢).

ومن صور الصبر على الابتلاء هو الصبر على المجازاة على الذنوب، فللذنب شؤم وعقوبة قد تُعجّل في الدنيا، وعلى المذنب أن يتحملها بانكسار إلى الله، عسى الله أن يقبل توبته، وفي هذا يقول المصنف: "أيها المذنب: إذا أحسست نفحات الجزاء فلا تكثرنَّ الضجيج، ولا تقولنَّ قد تُبتُ وندمت فهلّا زال عني من الجزاء ما أكره! فلعل توبتك ما تحققت. وإنّ للمجازاة زماناً يمتد امتداد المرض الطويل، فلا تنجع فيه الحيل، حتى ينقضي أوانه ... فاللازم لك أن تلازم محراب الإنابة، وتجلس جلسة المستجدي، وتجعل طعامك القلق، وشرابك البكاء، فربّما قدم بشير القبول، فارتَدَّ يعقوب الحزن بصيراً" (٣).

---

(١) صيد الخاطر: ٩٥. وقد ركّز هنا على التشبيه الذي هو موطن الشاهد.

(٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: بهاء الدين السُّبكي (ت ٧٧٣هـ)، تحقيق: د. خليل إبراهيم خليل، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م: ٣/١٣٦.

(٣) صيد الخاطر: ١٩٥- ١٩٦.

يوصي المصنف من أصاب كبيرة أو ذنباً أنْ يصبر إذا أحسَّ بالعقوبة على فعله، وهذه العقوبة لا تكون آنية، إذ قد تنزل بمستحقها ولو بعد حين، وإذا وقعت فإنّ زمانها قد يطول ويمتدّ امتداد المرض الطويل.

ويلحظ أنّ المصنف وظّف التشبيه البليغ بالمصدر المبيّن للنوع في تشبيه مدة العقوبة بمدة إقامة المرض المزمن، الذي قد يطول علاجه، وقد يلازم الإنسان حتى الموت، فلا يُعمل الدواء فيه فوراً، بل لابدَّ من الدواء والصبر على تعاطيه، فكذلك مَنْ حلّت به العقوبة، إذ عليه بالدواء وهو التوبة والانكسار لله مع الصبر، وأن يلازم محراب الإنابة ويجلس جلسة المستجدي طلباً للمغفرة، فلا يدري متى يأتيه الخلاصُ من الابتلاء، فتقرّ عينه.

واستعان المصنف بالتشبيه البليغ بالمصدر المبيّن للنوع أيضاً في تشبيه حالة مَنْ نزلت به العقوبة وهو يطلب المغفرة من الله، بقوله: (وتجلس جلسة المستجدي) فكما أنّ المستجدي يجلس منكسراً، لأنه يطلب معروفاً ممّن لا فضلَ له عليه إلّا الرجاء في كرمه، ولا يقين له بعطائه إلّا إذا تيّقن المعطي صدق حاجته، فكذلك المتعرض لعفو الله في هيئته: بانكساره وأمله وصدقه وصبره.

ولاشك أنّ هذا التشبيه الرائع واقع في الهيئة والصورة فقط، مع الفارق بين سؤال الخالق وسؤال المخلوق، فالمخلوق قد يعطي بتسخير من الخالق، وقد يمنع، ولكن باب الخالق مفتوح، لا يردُّ أحداً صادقاً في توبته ﴿[وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠].

إنَّ الشهوات المحرّمة تميل إليها النفوس أحياناً، وذلك بتسويل من الشيطان لكي يغوي الإنسان ويرمي به في متاهات الضلالة، والصبر على ترك هذه الشهوات يحتاج إلى قوة عزيمة، وإيمان قوي، ومراقبة للخالق (ﷻ) دائماً. وقد حثَّ ابن الجوزي على هذا الضرب من الصبر أيضاً في كتابه في مواضع عدة، إذ نجده يقول: "واعلموا أنّ [في] (*)

(*) ساقطة من النص، وهي في نسخة هنداوي: ١٤٠ ونسخة طنطاوي: ٢٥٤/٢.

ملازمة التقوى مرارات من فَقْد الأغراض والمشتهيات، غير أنها في ضرب المثل، كالحمية تُعقب صحة، والتخليط ربّما جلب موت الفجأة.

وبالله لو نمتم على المزابل مع الكلاب في طلب رضى المبتلي كان قليلاً في نيل رضاه، ولو بلغتم نهاية الأماني من أغراض الدنيا مع إعراضه عنكم كانت سلامتكم هلاكاً، وعافيتكم مرضاً، وصحتكم سقماً، والأمر بآخره، والعاقل من تلمّح العواقب" (١).

يشير النصّ إلى إنّ ملازمة التقوى ليست بالطريق السهلة دوماً، فهي تقتضي مجاهدة النفس، وكبح جماح الشهوات المحرّمة، وهذا ما يحتاج إلى صبر وشدّة مطاولة. وما الصبر على فقدان المشتهيات إلّا كالحمية التي يتجنب فيها المريض أنواعاً من الطعام قد تكون محببة إلى نفسه، ولكن هذه الحمية محمودة العواقب، إذ إنها تورث صحة وسلامة، فكذلك الصبر على تحمّل مرارة فَقْد الشهوات يورث سلامة في الدنيا والآخرة، ورضىً من الرحمن عظيم الشأن، وهذا ما عبّر عنه بهذا التشبيه المفروق المرسل والمجمل.

ويوغل المؤلف في تأكيد هذا المعنى إذ أنّ استرسال النفس في الشهوات المحرّمة يقود إلى العطب والهلاك السريع، مثل المريض الذي لا يلتزم حمية تنفعه، ويقوم بالتخليط في طعامه، فإنه يقود نفسه إلى الموت سريعاً. ويؤكد المصنف معنى نفاسة المردود قياساً بالثمن، بأنّ البشر مهما فعلوا لنيل رضى الرحمن كان قليلاً ولا يكاد يذكر، وأنهم لو نالوا الدنيا بجميع مشتهياتها مع إعراض الرحمن عنهم، كانت هذه المشتهيات وبالاً عليهم، فيقول مخاطباً إياهم: "كانت سلامتكم هلاكاً، وعافيتكم مرضاً، وصحتكم سَقماً" بهذا التشبيه البليغ، الذي هو "أقوى مراتب التشبيه" (٢) يبيّن المؤلف سرعة انقضاء أحوال الدنيا، التي قد تؤل في الآخرة إلى الضدّ، والآخرة هي دار البقاء فالأحوال فيها هي الأصل لدوامها.

(١) صيد الخاطر: ١٨٢.

(٢) الإشارات والتنبيهات: ١٥٩.

وكان المؤلف قد شرح مثل هذا المعنى في موضع سابق، مُبيّناً ما قد يُرى في الدنيا من بسط يدّ العاصي، وقبض يدّ الطائع، فيقول: "بسط يدّ العاصي هي(*) قبض في المعنى ... [و] قبض يدّ الطائع بسط في المعنى؛ لأن ذلك البسط يوجب عقاباً طويلاً، وهذا القبض [يؤثر] (**) انبساطاً في الأجر جزيلاً، فزمان الرجلين ينقضي عن قريب" (١). وكأنّ المؤلف أراد بهذا التشبيه البليغ في النص السابق، والمكثّف بحذف بعض أركانه أنْ يستحضر المتلقي سرعة التحوّل، فالسلامة سرعان ما ستنقلب إلى هلاك، والعافية إلى مرض، والصحة إلى سقم، فكأنّ السلامة والعافية والصحة هي الهلاك والمرض والسقم لسرعة انقضائها، ولاستجلابها ما يضادّها في الآخرة، فالعبرة بالنتيجة، هذا فضلاً عمّا حققه هذا التشبيه من الإيجاز والتأكيد والمبالغة.

ومن أنواع الصبر التي رغّب فيها ابن الجوزي الصبر على التكاليف، فليست التكاليف والصبر على أدائها بالأمر الهيّن، بل تحتاج إلى مطاولة وقوة وإيمان، إذ حُفّت الجنة بالمكاره. ويوظف المصنف التشبيه في أداء هذا المعنى، إذ يقول: "المؤمن بالله كالأجير، وأنّ زمن التكليف كبياض النهار، ولا ينبغي للمُستعمل في الطين أن يلبس نظيف الثياب، بل ينبغي أن يُصابر ساعات العمل، فإذا فرغ تنظّف، ولبس أجود ثيابه، فمن ترفّه وقت العمل ندم وقت تفريق الأُجرة، وعوقب على التواني فيما كُلِّف، فهذه النبذة تقوّي أزر الصبر" (٢).

أراد المصنف بهذا التشبيه المفروق أن يُشبّه المكلّف المؤمن بالله بالأجير بتشبيه مرسل ومجمل، فكلاهما مطالب بعمل عليه إنجازه على أكمل وجه كي يتقاضى الأجر عليه بعد الانتهاء منه، فالمؤمن بالله يعي جيداً جوهر وجوده في هذا الكون، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ويعلم أنّ ثمرة ما كُلّف به تعود إليه وحده،

(*) هكذا في المطبوع ولعله (هو).
(**) هكذا في المطبوع ولعله (يورث).
(١) صيد الخاطر: ٩٤.
(٢) م. ن: ٩٤، وينظر: ١٨٩، و٣٩٥.

فيصبر على التكليف، ولا تبهره زخارف الدنيا عن رسالته، فالموعد قريب والأجر جزيل، وكذلك الأجير يعمل بجد، فإذا فتر عن العمل تذكّر أُجرة عمله فكانت حافزاً له للجدّ والمثابرة، فأمّا إنْ ضيّع الوقت، وشُغل بما لا ينفع، ولم يلبس للعمل ملابسة، فاغترّ بالمظهر عن الجوهر فإنه سيندم حين توزع الأجور.

وعزّز المصنف هذا التشبيه بتشبيه ثانٍ، قَصَد منه أن يبيّن قِصر مدَّة التكليف، فزمن "التكليف كبياض النهار" في سرعة انقضائه وتصرّمه، فأراد المصنف بهذا التشبيه المرسل والمجمل أنْ يؤكد صبر المؤمن على التكاليف، فزمن التكليف قصير، وأمّا زمن تقاضي الأجر فيتسم بالخلود.

٣- الإخلاص:

هو جوهر التوحيد، وأساس الإسلام لله عزّ وجل، وهو ميزان العمل، إذ إنّ "الجزاء على مقدار الإخلاص" (١).

وقد حثَّ المصنف على الإخلاص كثيراً، ورغّب فيه، وكان التشبيه وسيلته المفضّلة في التعبير عن المعاني الدقيقة التي يهدف إيصالها لمتلقيه. فنراه يقول: "أعظم المعاقبة ألّا يحسَّ المعاقب بالعقوبة ..... وإني تدبرتُ أحوال أكثر العلماء والمتزهدين فرأيتهم في عقوبات لا يحسون بها، ومعظمها من قبل طلبهم للرياسة، فالعالم منهم يغضب إنْ رُدَّ عليه خطؤه، والواعظ متصنع بوعظة، والمتزهد منافق أو مراءٍ. فأول عقوباتهم إعراضهم عن الحقِّ شُغلاً بالخلق" (٢)، ولكن السبيل إلى الله (ﷻ) لا تخلو من المخلصين، فثمّة "رجال مؤمنون، ونساء مؤمنات، يحفظ الله بهم الأرض، بواطنهم

(١) صيد الخاطر: ١٧٤.

(٢) م. ن: ١٧.

كظواهرهم، بل أجلى، وسرائرهم كعلانيتهم، بل أحلى وهمهم عند الثريا، بل أعلى. إنْ عُرفوا تنكروا، وإنْ رُئيت لهم كرامة أنكروا" (١).

إنّ المعاصي تستجلب العقوبة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣]، ومن العقوبة ألّا يشعر المذنب بأنه معاقب، فيستمر بانغماسه في الذنب، وليست العقوبة مقتصرة على الذنوب الظاهرة، بل الأخطر منها ما يقع ممّن نال نصيباً من العلم، فقد يقع في العُجب والرياء، وهذا باب الشرك الأصغر، وهو أخفى من دبيب النمل.

ولكن الطريق إلى الله عزّ وجل لا تُعدم المخلصين من الرجال والنساء يحفظ الحق (ﷻ) بهم الأرض، ومن صفاتهم أنّ "بواطنهم كظواهرهم بل أجلى، وسرائرهم كعلانيتهم بل أحلى"، بهذا التشبيه المفروق، والمرسل يصف ابن الجوزي هؤلاء المخلصين، ويرغّب في السير على طريقهم. فبواطن هؤلاء القوم كظواهرهم في الإخلاص والصفاء، فلا انفصام بين ما يُكنّون وما يعلنون، بل ثمّة انسجام تام بين الاثنين، بل إنّ بواطنهم أجلى وأنصع.

ويردف المصنف هذا التشبيه بآخر يتكلم فيه عن سرائر القوم، ويقول أهل اللغة عن السريرة: "السِّرُّ: الذي يُكتم، والجمع: الأسرار، والسريرة مثله، والجمع السرائر" (٢) فالسريرة "عمل السِّرَّ من خير أو شرّ، ويُقال سريرته خيرٌ من علانيته" (٣). فسرائر القوم تشبه علانيتهم في الخير والصلاح، بل هي أحلى؛ إذ قد هذّبها خوفهم من قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق: ٩- ١٠] وقد حقق هذا التشبيه المفروق غايته في تصوير الانسجام التام بين الداخل والخارج، فلا انفصام ولا رياء.

---

(١) م. ن.

(٢) الصحاح: الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد العطار، ط٢، دار العلم للملايين – بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م : ٦٨١/٢ مادة (سرر).

(٣) العين: ١٨٦/٧ مادة (سرر).

ويؤكد المصنف هذا المعنى في موضع آخر يبيّن فيه علامة المخلص، فيقول: "إنّما الرجل هو الذي يراعي شيئين: حفظ الحدود، وإخلاص العمل .... فرُبَّ خاشع ليُقال: ناسك، وصامت ليُقال: خائف، وتارك للدنيا ليُقال: زاهد، وعلامة المخلص أنْ يكون في [جلوته كخلوته](*)، وربّما تكلّف بين الناس التبسم والانبساط لينمحي عنه اسم زاهد. فقد كان ابن سيرين يضحك بالنهار، فإذا جنَّ الليل، فكأنه قتل أهل القرية" (١).

وبهذا التشبيه المرسل والمجمل أوجز المصنف صفة المخلص لله (ﷻ)، فهو ينأى بدينه ونفسه عن الإشراك الخفي في عبادة الله (ﷻ)، فلا تباين بين سرِّه وعلانيته، بل هو في السرِّ أشدُّ توقياً من المعصية، فلا ينتهك حرمات الله إذا خلا بها، وهذا ابن سيرين رحمه الله ينبسط في النهار مع الناس، فإذا غشيته الظلمة وخلا بنفسه (فكأنه قتل أهل القرية) لشدّة خوفه من الله (ﷻ)، وانكساره لله سبحانه، وإخلاصه لله سبحانه، وقد أوجز هذا التشبيه المرسل والمجمل كلّ هذه المعاني، إذ توعّد الله (ﷻ) مَنْ قتل مؤمناً بغير حقّ بالعذاب الشديد، وبغضب الله عليه، فكيف بمَنْ قتل أهل قرية كاملة؟ وكيف يكون انكسار هذا القاتل إذا تاب وأناب إلى الله؟!.

ويحثُّ المصنف أرباب المعاملة مع الله على شدّة المراقبة كي يسلم القلب لله (ﷻ) صافياً من الأكدار، فيقول: "يا أرباب المعاملة، بالله عليكم لا تُكدّروا المشرب، قفوا على باب المراقبة وقوف الحرّاس، وادفعوا ما لا يصلح أن يلج فيُفسد، واهجروا أغراضكم لتحصيل محبوب الحبيب، فإنّ أغراضكم تحصل" (٢).

هيهات أنْ يسلم الطريق إلى الله (ﷻ) إلّا بالإخلاص والمراقبة، فالعدو هو الشيطان الرجيم متأهب ومترصد بالإنسان، وهو لا يخفي بيان كيده، وخفاء مكره، إذ

(*) كذا في الأصل، وهي كذلك في طبعة طنطاوي: ٣/٥٨٠ وطبعة هنداوي: ٣١٩، وهو تصحيف واضح، بدلالة السياق، وبدلالة ما ذكره في نص مماثل في ص: ٦٤، فالصحيح هو: (أن يكون في خلوته كجلوته). وعلى افتراض صحة النص فإنه يُعدّ من باب التشبيه المقلوب. وقد جمع هذا التركيب الموجز أكثر من فن بلاغي، فضلاً عن التشبيه المرسل والمجمل. ثمّة طباق بين اللفظين، وجناس مصحّف.

(١) صيد الخاطر: ٤٢٨.

(٢) صيد الخاطر: ١٩٧، وينظر: ٤١٧.

يحكي لنا القرآن الكريم خطاب هذا العدو بما يكشف عن قوة تصميمه على الإيقاع بالبشر، ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: من الآيتين: ١١٨- ١١٩]، وها هو يقول أيضاً: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

فسهام العدو كثيرة، وطرائق إغوائه متنوعة، فلابدَّ لمن أراد السلامة أن يقف على باب المراقبة وقوف الحرّاس، فيمنع ما يُفسد من الدخول إلى القلب. وقد أحسن المصنف في هذا التشبيه البليغ المبني على المصدر المبيّن للنوع في شدّة المراقبة، وقوة المجاهدة. ومن وجوه حُسن هذا التشبيه أنه مثّل الشيء الخفي العقلي "بالظاهر المحسوس المعتاد، فيكون حُسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد" (١).

ومن وسائل الترغيب التي اتّبعها المصنف هي بيان ثمرة الإخلاص، إذ يقول: "إنّ للخلوة تأثيرات تبين في [الجلوة] (*)، كم من مؤمن بالله عزّ وجل يحترمه عند الخلوات، فيترك ما يشتهي، حذراً من عقابه، أو رجاءً لثوابه، أو إجلالاً له، فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عوداً هندياً على مجمر، فيفوح طيبه، فيستنشقه الخلائق، ولا يدرون أين هو، وعلى قدر المجاهدة في ترك ما يهوى تقوى محبته، أو على مقدار زيادة دفع ذلك المحبوب المتروك يزيد الطيب ويتفاوت تفاوت العود، فنرى عيون الخلق تعظّم هذا الشخص، وألسنتهم تمدحه، ولا يعرفون لِمَ؟ ولا يقدرون على وصفه؛ لبعدهم عن حقيقة معرفته. وقد تمتد هذه [الأرابيح] (**) [بعد] (***) الموت على قدرها، فمنهم من يُذكر بالخير مدّة مديدة،

(١) سرّ الفصاحة: ابن سنان الخفاجي: ٢٤٦.

(*) في الأصل [الخلوة] وهو تصحيف واضح.

(**) كذا في الأصل، ولعله [الأراييج]، إذ "الأرج والأريج: توهج ريح الطيب" الصحاح: ٢٩٨/١ مادة (أرج).

(***) في الأصل [بعض] والصحيح ما أُثبت، وهو في طبعة هنداوي [بعد]. ينظر: ص١٣٣.

ثم يُنسى، ومنهم من يُذكر مئة سنة، ثم يُخفى ذكره وقبره، ومنهم أعلام يبقى ذكرها أبداً" (١).

بهذا التشبيه التمثيلي شبّه المصنف تقوى الله عزّ وجل في الخلوة، التي هي ثمرة الإخلاص، وما تستجلبه من محبة الناس واحترامهم من غير تقصّد من الشخص، بهذه الصورة المحسوسة التي اعتمدت على حاسّة الشَّمّ، ولاشك أنّ "العلم المستفاد من طرق الحواس، أو المركوز فيها من جهة الطبع – وعلى حدّ الضرورة – يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام" (٢)، وهذا ما جعل الصورة أكثر قرباً إلى المتلقي.

وكذلك فإنّ صورة المجمر، وقد طُرح فيه عود الطيب الهندي، فملأ عبقة الجو، فاستنشقه كلُّ مَنْ حضر ذلك المكان، هي صورة مألوفة في المجتمع العربي (*)، فهي وليدة البيئة، والتشبيه "يتأثر بالبيئة، بل إنه يخضع لها، وتتحكم فيه، وتضفي عليه كلَّ سماتها، وتمنحه جميع خصائصها" (٣).

ويؤكد المصنف تفاوت محبة المخلص على قدر إخلاصه، كما تتفاوت أنواع العود في أريجها، بل منهم من تستمر محبته واحترامه بعد موته بأزمان متفاوتة، قد تطول أو تقصر على قدر إخلاصه.

---

(١) صيد الخاطر: ١٧٤.

(٢) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: هـ. ريتر، ط٢، مكتبة المثنى – بغداد، عن طبعة وزارة المعارف – استانبول، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م : ١٠٨.

(*) ولهذا قال حازم القرطاجني "وينبغي أن يكون المثال المحاكى به معروفاً عند جميع العقلاء، أو أكثرهم سجية. ولا يَحسنُ أن يكون مما يُنكر ويُجهل" منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١١٢، وينظر: في أثر البيئة في التشبيه: فن التشبيه: ١٨٥/٣.

(٣) أساليب البيان: د. فضل حسن عباس، ط٢، دار النفائس – الأردن، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م : ٢٦٣.

The Relationship between Simile and Meaning Ibn Al-Jawzi's Writings on Solitude and Patience in His Book Sayd Al-Khatir: An Example

Asst. Prof. Dr. Asma Suood Idham
Amani Talal Yahya

Abstract

The research shows the relationship between (Semantics) and ellm Al-Bayan (Science of Eloquence) in particular similar which plays a great role in explaining and clarifying meaning as well as brevity and hyperbole in addition, simile is rich in hints which give the expression shades of meaning.

The research takes the attitude of Ibn Al-Jawzi towards solitude and patience as an example for analysis.